مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 28، جانفي 2021، ص - ص: 829 – 842
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الايديولوجيا العربية بين الاغتراب وإشكالية التوظيف
Arab ideology betwen alienation and the problem of employement

لزهر عقيبي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر- بسكرة
laguibi@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/25 تاريخ القبول: 2021/01/07

الملخص:
هذا المقال هو محاولة لفهم وتحليل إشكالية توظيف الإيديولوجيا العربية كما يعبر عنها الفكر العربي، ويهدف إلى إعادة قراءة ذلك التوظيف من منطلق نظرية التأويل الثقافية المنحدرة عن بول ريكور وكليفود غيرتز اللذان يربطان الايديولوجيا برمزية الفعل الاجتماعي بشكل خاص، وبرموز الثقافة السائدة في المجتمع بشكل عام. على هذا الأساس، تأخذ الإيديولوجيا عند ريكور ثلاثة وظائف أساسية: وظيفة إدماج الأفراد في هوية الأمة من خلال ربط وعيهم الاجتماعي بالأحداث المؤسسة لها، ووظيفة تشويه الواقع وإخفائه، وأخيرا، وظيفة تبرير مشروعية السلطة السياسية. يتناقض هذا الاقتراح مع الواقع الأيديولوجي العربي ، الذي لم يصنع إيديولوجيته بعد. يمكننا أن نقول مع العروي إن العرب يعيشون غربة إيديولوجية، لأن الإيديولوجية العربية تفتقر إلى التعبير عن الذات والواقع والأمل ، الأمر الذي يتطلب إعادة بناء إيديولوجيات أخرى ملائمة وتقويم وظائفها مرة أخرى.
الكلمات المفتاحية: الايديولوجيا؛ الفكر العربي؛ التأويل؛ الوظيفة؛ الاغتراب.

Abstract:
This essay is an attempt to understand and analyze the problem of employing Arab ideology as expressed in Arab thought, and aims to re-read that employment based on the theory of cultural interpretation of Paul Ricoeur and Clifford Geertz, which bind ideology with the symbolism of social action in particular and the symbols of culture prevalent in society in general. On this basis, Ricoeur's ideology takes three basic functions: the function of integrating individuals into the identity of the nation by linking their social consciousness with the events of their founding, the function of distorting and hiding reality. Finally, the function of justifying the legitimacy of political power. This proposal contradicts Arab ideological reality, which has not yet made its ideology. We can say with Al-Arawi that Arabs are ideologically alienated, because the Arab ideology lacks self-expression, reality and hope, which requires rebuilding other appropriate ideologies and re-evaluating its functions.
Key words: Ideology; Arabic thought; Interpretation; function; Alienation.

مقدّمة:

ينظر الرأي العام العربي عامة، والفكر العربي بالخصوص، إلى الإيديولوجيا كظاهرة سلبية، فهي تحمل معاني الوهم والتشويه والتحريف والقناع الذي يغطي الواقع ويزيف الحقيقة. ولعل مصدر هذه القناعة يأتي من هيمنة وجهة نظر الفلسفة الماركسية لعقود على أجيال من النخب العربية، وهي أول فلسفة تقدم هذا المفهوم السلبي للايديولوجيا في الفلسفة الغربية. أما المصدر الآخر لتلك القناعة في فكرنا العربي

فيأتي من الابستمولوجيا الغربية نفسها، تلك التي تضع الإيديولوجيا كعائق في مقابل الموضوعية العلمية والتأسيس للعلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة، الأمر الذي أدى إلى تكريس تلك القناعة حول الايديولوجيا كما لو كانت حقيقة مطلقة، مع ذلك، فقد أعطى هذا الأمر أولوية للإيديولوجيا الماركسية كحل ثوري وتقدمي في بعض البلدان العربية، وخلق في بلدان أخرى إيديولوجيا مضادة هي الايديولوجيا الليبرالية، وهذا يظهر مدى حضور وتأثير الفكر الغربي في ثقافتنا.

غير أن البحث الفلسفي المعاصر يقدم دلالات ووظائف جديدة للإيديولوجيا، مما يفرض التفكير مجددا في أهميتها ودورها في واقعنا العربي المعاصر، الذي أصبح أكثر انهيارا وتفتتا من ذي قبل، بعدما اقتحمته ايديولوجيات العولمة، وأنهكته مصالح الاستعمار الجديد غير المباشر، وسادته إيديولوجيات التفرقة العرقية والطائفية، وتراجعت فيه الايديولوجيات التحررية والوطنية والقومية والدينية الكبرى.

لقد وجدت تلك الدلالات الجديدة للإيديولوجيا في النظرية التأويلية المعاصرة لأهم فيلسوفين في عصرنا وهما بول ريكور الفيلسوف الفرنسي، وكليفورد غيرتز الفيلسوف والأنثروبولوجي الأمريكي، فكليهما بحثا في رموز الثقافة وأدركا أهميتها في صنع حوافز الفعل الاجتماعي ومقاصده، وكلاهما يعتبر الايديولوجيا بنية رمزية متأصلة في ثقافة المجتمع ، وأنه بالتالي، يمكن أن تكون أشكال الثقافة وضمنها الايديولوجيا مظاهر رمزية لتفسير وتأويل الفعل الاجتماعي وفهم الذات والهوية الجماعية لمجتمع تاريخي معين، وأدوات للدفاع عن استمراريته والحفاظ على كينونته.

انطلاقا مما سبق، تطرح علينا إشكالية محورية وهي كيف يمكننا إعادة بناء مفهوم جديد للإيديولوجيا العربية يساهم في تصحيح فهم العرب لعلاقة الايديولوجيا بواقعهم، وبالتالي تصحيح مسألة توظيفها في الواقع على ضوء هذه النظرية التأويلية في الايديولوجيا؟ ما طبيعة هذه الايديولوجيا؟ وما هي مهماتها؟

ولحل هذه الإشكالية رأيت منهجيا أن أقدم لها بعرض مفهوم الايديولوجيا ووظائفها في النظرية التأويلية خاصة عند بول ريكور، ثم تحليل ونقد طبيعة الايديولوجيا العربية السائدة حاليا في منظور الفلاسفة والمفكرين العرب واستخلاص ما نعتبره بقايا الإيديولوجيا العربية في الواقع، والتي تدل على شرخ كبير في فهمها وتوظيفها، وفي الأخير نحاول أن نؤسس لإمكانية إيديولوجيا عربية بمواصفاتها وأهدافها ووظائفها المختلفة التي تتلاءم مع طبيعة ثقافتنا وعصرنا وواقعنا.

إن دراسة الايديولوجيا في الفكر العربي ظلت ناقصة عموما، وباستثناء مؤلفات الأستاذ عبد الله العروي حول الايديولوجيا عامة والايديولوجيا العربية خاصة، و كتاب "الايديولوجيا الانقلابية" للدكتور نديم البيطار، حيث تتناولها بشكل مباشر، فإن دراستها في مؤلفات عربية أخرى بقيت غير مباشرة، أي في سياق مواضيع أخرى مثل كتاب "الايديولوجيا الصهيونية" للأستاذ محمد عبد الوهاب المسيري، و"الوعي والوعي الزائف" لمحمود أمين العالم. وإن إصرار مفكرينا على وضع الإيديولوجيا مقابل الواقع، يجعلها تبدو كخيال جامح ووهم لا لزوم له، ولكنها في الحقيقة لا تصدر إلا عن الواقع الرمزي للفعل الاجتماعي، وبالتالي، لا يمكن تجاوزها عمليا.

مفهوم الإيديولوجيا ووظائفها المعاصرة:

مفهوم الإيديولوجيا:

إن أكثر الباحثين اهتماما بالإيديولوجيا في الفكر العربي عامة هو المفكر المغربي عبد الله العروي، إذ خصص لهذا المفهوم كتابين هما "الإيديولوجيا العربية المعاصرة" و"مفهوم الايديولوجيا": ففي الكتاب الأول يقول أسمي أيديولوجيا "أدلوجة" أشياء ثلاثة: أولا ما ينعكس في الذهن من أحوال الواقع انعكاسا

محرفا بتأثير لا واع من المفاهيم المستعملة. ثانيا نسق فكري يستهدف حجب واقع يصعب وأحيانا يمتنع تحليله. ثالثا نظرية مستعارة لم تتجسد بعد كليا في المجتمع الذي استعارها لكنها تتغلغل فيه كل يوم أكثر فأكثر"[1]. وهذه التعريفات تظهر وجهة النظر الماركسية التي تأثر بها الأستاذ العروي، حيث الايديولوجيا هي تشويه وتحريف للواقع، أو نظرية تحمل طابع الحتمية التاريخية التي ستتجه بالمجتمع إلى واقع جديد على غرار المادية التاريخية.

غير أنه في كتابه "مفهوم الأديولوجيا" ينفتح على مفاهيم جديدة للإيديولوجيا، ويعترف بتعقد وثراء مفهومها، حيث يتناول الأستاذ العروي الإيديولوجيا تناولا مفهوميا وتاريخيا، وما يمكن استخلاصه من عرضه التاريخي أنها: "مفهوم اجتماعي تاريخي، وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة. انه يمثل "تراكم معان""[2]. فالإيديولوجيا يمكن أن تكون إيديولوجية حزب معين، "ونعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي ينوي تحقيقها على المدى القريب والبعيد"[3] وقد تكون تعبيرا عن نظرة شاملة للإنسان والحياة والكون في عصر معين مثل عصر النهضة أي "الأفق الذهني الذي كان يحد فكر إنسان ذلك العصر"[4]. وأخيرا، فإن الإديولوجيا تقابل ما هو حق موضوعيا وواقع وعلم، وتصدر عن الذات، وبالتالي فهي تدل على نظرة الإنسان الذي "يتخير الأشياء ويؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائما مطابقة لما يعتقد أنه الحق"[5]. ولكل معنى من هذه المعاني أسبابه وظروفه الاجتماعية والتاريخية.

إن أهم ما يميز الايديولوجيا عند العروي هي أنها لا تتميز فقط بإمكانية الوصف بل إمكانية النقد أيضا. "إن الظاهرة النقدية هي التي تميز مفهوم الأدلوجة عن المفاهيم الأخرى مثل : فكر، ذهنية، عقيدة، دين، فلسفة...فلا يجب طمسها أو عدم الوعي بها، وإلا أصبحت كلمة أدلوجة* كلمة فارغة غير ضرورية"[6] مما يعني أن الاديولوجيا مفهوم نسبي، اجتماعي وتاريخي ونقدي.

واضح أن تحليل العروي ينسجم مع التحليل الماركسي، حيث يؤكد الطابع التاريخي والاجتماعي لظاهرة الايديولوجيا، وأنها قناع ووهم وظيفتها تحريف الواقع. ويربط ظهورها بعصر الإقطاع الأوربي أين بدأ الصراع الطبقي، وما قبله لا توجد إيديولوجيا لأن هذا ينسجم مع العصر المشاعي الذي يفتقد إلى الصراع الطبقي ومظاهر الاستغلال والتمييز التي تبرر استخدام الإيديولوجيا.

إذا كان هذا التحليل الماركسي للإديولوجيا قد جرى الاحتفاظ ببعض مفاهيمه في الفلسفة الغربية، فإنها قد تجاوزته أيضا: فإذا كانت الايديولوجيا ظاهرة اجتماعية، فهذا لا يمنع من البحث عن صفاتها الثابتة نسبيا، من خلال التمييز بين الايديولوجيا كمفهوم والإديولوجيا كظاهرة، وهو ما لم نجده واضحا عند العروي بشكل كاف، رغم أنه يؤكد أنه يدرسها دراسة مفاهيمية ضمن نظرية الثقافة، ورغم أنه يتكلم على ما يسميه بـ " الارتباطات المنطقية " التي تلحق بمفهوم الايديولوجيا مثل الأسباب والظروف والوظائف والغايات والمجال، إلا أنه لم يفكر فيها بشكل أعمق، وكان همه تناول الإديولوجيا كظاهرة تاريخية واجتماعية وسياسية.

إن النظر إلى الإيديولوجيا كمفهوم بدأ مع دستوت دو تراسي Desttut de Tracy الذي اعتبرها علما، و"نسقا من الأفكار" أو "نظام الفكر"[7] الذي يشمل العلوم والمعارف والآداب والفنون في مقابل الميتافيزيقا، فمواضيع الايديولوجيا تمثل ما يمكن معرفته حسيا وعقليا، أما قضايا الميتافيزيقا فهي ما لا يمكن معرفته، وهذا يعني أن المفهوم الأول للايديولوجيا لم يكن يحمل أي معنى سلبي.

هذا الطرح المعرفي نجده أيضا عند كارل مانهايم – K.Mannheim الذي حاول دراسة الايديولوجيا ضمن علم اجتماع المعرفة، فهي، بالنسبة له تحتاج إلى التحليل المعرفي والسوسيولوجي الذي يوضح لنا دلالاتها الخفية، ذلك أن الاديولوجيا لا تعرض حقيقتها مباشرة، فعلى المستوى الفردي الايديولوجيا هي في الغالب اديولوجية الخصم التي تعبر عن "تمويهات - واعية بدرجات متفاوتة- تخفي الطبيعة الحقيقية لوضع لن يكون الاعتراف بحقيقته متفقا مع مصالح هذا الخصم، وتتراوح هذه التحريفات بين الأكاذيب المقصودة والتمويهات شبه المقصودة أو غير المقصودة، وبين المحاولات المتعمدة لخداع الآخرين أو خداع النفس"[8]. وعلى مستوى عام، فإن الايديولوجيا "إديولوجيا جماعة تاريخية-اجتماعية محددة، كإديولوجيا طبقة مثلا، عندما يكون هدفنا هو أن نوضح سمات وتركيب البناء الكلي لعقلية ذلك العصر أو هذه الجماعة"[9].

أما بول ريكور، Paul Ricœur، فإنه يعتبر الايديولوجيا مفهوما رمزيا، إنها إحدى أشكال الخيال الاجتماعي مثل اليوتوبيا والقصص والأساطير التي تدخل ضمن ثقافة المجتمع. والنظر إلى الايديولوجيا كنظام رمزي ضمن ثقافة معينة، يعني أنها "إطار مفهومي لا هو سببي ولا هو بنيوي، ولا حتى حركي لكنه ابتداء سيميائي"[10]. هذا يجعلها ليس فقط مجرد وهم أو قناع يشوه الواقع، وبالتالي، لا تعبر فقط عن التوترات الاجتماعية والصراع الطبقي، بل لها دلالات أخرى تأسيسية ووظيفية نجدها في عرض بول ريكور في كتابه "الإيديولوجيا واليوتوبيا-L'idéologie et L'utopie" لأهم الفلاسفة الغربيين الذين تناولوها بالدرس والتحليل، وقدموا بشأنها نظريات مختلفة قبل أن ينتهي إلى موقف واضح منها في الجزء الأول من كتابه: "الأنثروبولوجيا الفلسفية" وهو: أن الايديولوجيا لها علاقة ببنية الفعل الاجتماعي الرمزية، حيث يميز في هذه الرمزية في الفعل بين مستويين:[11] الرمزية المكونة symbolisme constituant والرمزية التمثيلية symbolisme représentative ، وإذا كانت الرموز المكونة هي المؤولات الداخلية للفعل، حيث لكل فعل تعبيراته، على حد تعبير دلتاي Delthey، فإن الرموز التمثيلية هي المؤولات الخارجية. إن موقع الإيديولوجيا في هذا التصنيف هو أنها تنتمي للمؤولات الخارجية المتعالية، لكنها قادرة على تمثيل الفعل الاجتماعي وتفسيره كأي بنية ثقافية اجتماعية.

يتوافق ريكور في هذا الاتجاه مع جليفورد كيرتز G.Keertz الأنثروبولوجي الأمريكي في نظريته الثقافية التأويلية حيث يدرج الرموز ضمن الثقافة العامة للمجتمع، ويفسر الأفعال الاجتماعية بردها إلى رموز الثقافة، وما ينطبق على الثقافة ينطبق على الإيديولوجيا باعتبارها جزء من الثقافة الاجتماعية، أي أن الإيديولوجيا بنية رمزية ثقافية يمكنها تأويل أفعال الفاعلين في المجتمع والكشف عن حوافزهم ومقاصدهم.

وظائف الايديولوجيا المعاصرة بحسب ريكور:

بعد أن أثبت ريكور الطابع الرمزي الأصيل للإيديولوجيا في الفعل الاجتماعي، فإنه تساءل عن وظيفتها داخل مجتمع تاريخي معين، ولاحظ تبعا لذلك أن الفكرة الماركسية حول "التمييز بين البناء الفوقي والبناء التحتي يتلاشى تماما، لأن الأنظمة الرمزية تخص البناء التحتي، والتكوين الأساسي للكائن الإنساني"[12]. وبالتالي، استخلص الوظيفة الأساسية الأولى للإيديولوجيا، وهي وظيفة تمثيل هوية أمة والتعبير عن الأحداث المؤسسة لها. إن مهمتها الأساسية هي إدماج الأفراد في هوية المجتمع وإقناعهم بمبادئها وقيمها، من خلال أشكال الخطاب السيميولوجي، لاسيما بلاغة الخطاب وحجاجه.

أما الوظيفة الثانية للايديولوجيا، وهي وظيفة التشويه والدعاية فقد وجدها ريكور في الماركسية، حيث بدأ تحليله بمفهوم ماركس للإيديولوجيا عن طريق تتبع وإعادة بناء ذلك المفهوم في تطور فلسفة ماركس، لأن "التصور المهيمن للإيديولوجيا في التقليد الغربي جاء من كتابات ماركس، وبوضوح أكثر، تلك التي جاءت من ماركس الشاب: نقد فلسفة الحق لهيغل، مخطوطات 1884، الايديولوجيا الألمانية. تصور الإيديولوجيا جاء في المقام الأول في عنوان ومحتوى هذا الكتاب الأخير."[13] لكن أفكار الكتابين الآخرين كانت تمهد لذلك التصور، حيث مقولة تقسيم العمل فيها تمييز بين الجانب العملي والجانب الفكري، بين الممارسة والفكر، وبالإضافة إلى نظرية الانعكاس التي أخذها ماركس عن فويرباخ Feuierbach "الذي وصف الدين بوضوح كإنعكاس مقلوب للواقع"[14]. وإعطائه أولوية للممارسة على الفكر، فإن كل تلك الأفكار استطاع تعميمها على الفلسفة والإيديولوجيا والسياسة والعلم، فالإديولوجيا " كتشويه مثلما ظهرت في إيديولوجيا الشاب ماركس"[15] هي نظرة خيالية تعبر عن الواقع بشكل مقلوب، إنها قناع يعرض أهدافا وأحلاما في الظاهر، وهو في الحقيقة، يبرر مصالح الطبقات المسيطرة في التاريخ.

لا ينكر ريكور وظيفة التشويه التي تقوم بها الإيديولوجيا، لكنه لا يوافق على إمكانية تجاوز الايديولوجيا كلية، لأنها متأصلة في بنية الفعل الاجتماعي الرمزية، ولذلك يجدر بالماركسيين أن يتساءلوا عن مدى هذا التشويه، وماذا يشوه؟

تابع ريكور وجهة النظر الماركسية عن الايديولوجيا عند ألتوسير الذي لا يضع الايديولوجيا في مقابل الواقع مثلما فعل ماركس، بل يضعها في مقابل العلم، لكن "كلمة علم ليست مطبقة على جملة من المعارف التي تكون قابلة للتحقق أو التزييف، بحسب كارل بوبر K.Popper، بل تستخدم بمعنى نظرية أساسية"[16]. إن أخذ العلم كنظرية أساسية معناه التعرف على القاعدة المادية الاقتصادية وهي قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، وما تتطلبه من علوم اقتصادية خاصة، و الإيديولوجيا كفكر في قطيعة مع هذا العلم، إنها مجموعة أوهام وأقنعة ورؤى ذاتية، ومع ذلك فهي تؤثر على الواقع.

الوظيفة الثالثة للايديولوجيا وجدها ريكور عند ماكس فيبر Max Weber، وقد انطلق من إشكالية علاقة السلطة بالإيديولوجيا التي تركها عند ألتوسير، وهو يرى أنه إذا كان ألتوسير يعالج هذه الإشكالية من منطلق سببي، حيث الايديولوجيا دائما هي ايديولوجيا الطبقة المهيمنة اقتصاديا، فإن ماكس فيبر يحلها من منطلق أنثروبولوجي أساسه الدافعية الاجتماعية التي تحكم جدل الإدعاء والإعتقاد، حيث "مسألة الشرعية تصدر عن أنموذج تحفيزي، لأن التفاعل بين الادعاء والاعتقاد يجب أن يوضع في إطار تصوري مناسب"[17]. فالسلطة تدعي الشرعية، وحتى يعتقد الأتباع في مصداقيتها تنهض مهمة الإيديولوجيا، وهي تبرير مشروعية السلطة الحاكمة، وتحصيل الاقتناع بها لدى المحكومين.

غير أن ريكور، إذا كان يأخذ عن ماكس فيبر وظيفة التبرير التي تقوم بها الايديولوجيا، فإنه لا يوافقه في تكامل طرفي الجدل بين الإدعاء و الاعتقاد، حيث قد يحصل تعارضا بينهما، حينما يكون ادعاء السلطة للشرعية لا يجد اقتناعا لدى المحكومين، الأمر الذي يفسر الاضطرابات الاجتماعية.

الايديولوجيا العربية: من الإيديولوجيات التأسيسية إلى الإيديولوجيات الجزيئية:

طبيعة الايديولوجيا في الفكر العربي المعاصر:

يعرض الأستاذ العروي في كتابه "الايديولوجيا العربية المعاصرة" لثلاث اتجاهات في الايديولوجيا العربية المعاصرة[18]: ايديولوجيا الشيخ التي ترتكز على الإسلام، وايديولوجيا السياسي التي ترتكز على الليبرالية، وإيديولوجيا التقني التي ترتكز على القول بالعلم والصناعة. ونظرا لكون كل صنف من هذه

الإيديولوجيات الكبرى تنطوي تحته تأويلات متعددة ومختلفة، فإن الأستاذ العروي لم يكلف نفسه عناء البحث في تفاصيلها ولا في مصداقيتها وأهميتها بالنسبة للأمة أو للقوى الاجتماعية التي تحملها، واكتفى بتحديدها تحديدا عاما مجردا، في صورة الشيخ والسياسي والتقني: فالشيخ يأخذ بالأصالة ويعيدنا إلى الماضي، حيث لا يصلح حال الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو الدين، بحيث "كل مسألة تعرض في المجتمع إلا وتذوب بين يدي الشيخ في علاقات المخلوق بربه. هذا موقف صالح لكل زمان ومكان. فلا يبقى معه أي مجال للنقاش"[19]. وعلى أساس الدين يفسر الشيخ مسائل القوة والضعف، والحضارة والانحطاط، والحرية والاستبداد، ويجادل الخصوم في كل ادعاء.

أما السياسي فإن مرجعيته هي الليبرالية التي استقاها من احتكاكه بالغرب المتغلب حديثا، فهو رجل سياسة وقانون، ويدعو إلى الحرية والديموقراطية والتعددية، بالتالي فهو يناهض الاستبداد فقد " كان الحكم العثماني استبداديا، وجب إذن انتخاب مجلس نيابي، كان النظام العثماني يقنن كل الحرف، وجب إذن فتح المجال لكل فرد نشيط، كان النظام العثماني لا يتضايق من تفشي العلم، وجب إذن نشر التعليم بكل الطرق والوسائل."[20] وأخيرا، فإن ايديولوجية التقني قائمة على الدعوة إلى التصنيع والعلم، وهو يقول ذلك متأثرا بالغرب أيضا،" ليس الغرب دينا بلا خرافة، ولا دولة بدون استبداد، الغرب بكل بساطة قوة مادية أصلها العمل الموجه المفيد والعمل التطبيقي."[21]

غير أن الأستاذ العروي ينتهي بوصف كل صنف من هذه الإيديولوجيات الثلاثة بالفشل في الواقع، حيث "رؤية الشيخ هذه لا تزال تؤثر في المجتمع على توالي الأجيال. كانت في أوائل حركة النهضة موضوع إجماع، ثم فقدت رويدا رويدا جاذبيتها، إلا أنها لا تزال منتشرة بين جماعات يعتبرها البعض منا متخلفة أو تقليدية"[22]. كذلك إيديولوجية السياسي الليبرالية في مصر" أبانت عن عجزها وفقدت هيبتها، فلم يعد يسمع صوتها إلا في ممرات البرلمان ومدرجات الجامعة. لكنها في بلاد أخرى مثل المغرب... فنراها تدعو إلى نفسها بحرية ونشاط"[23]. ومع ذلك، يشكك الكاتب في تجربة المغرب، ويتساءل في هامش الصفحة 46 "هل التجربة فهمت حقا ؟" ويشير إلى كتابه في الحرية، كأنه يريد أن يقول: وهل الحرية التي عرفها المغرب هي الحرية الليبرالية فعلا ؟

وأخيرا، إيديولوجية داعية التقنية، مثل سلامة موسى الذي وجد نهضة الأمة في تقليد الغرب الصناعي، لكن " تدرك الدولة الجديدة أن داعية التقنية ليس تقنيا بالفعل. تسمع لنصائحه، ثم تعرض عنه"[24].

أما الدكتور حسن حنفي فإنه يذهب إلى القول بأن الايديولوجيا هي الفكر أو الاعتقاد الأساسي لكل أفراد المجتمع، ومهمتها الثورة على الواقع وتجديده، حيث يدرج الدكتور عبد الجبار الرفاعي فكر الأستاذ حسن حنفي ضمن ما يسميه ايديولوجية " لاهوت التحرير" الذي بدأ في القرن العشرين مع "جماعة من رجال الدين والكنائس في أمريكا اللاتينية، بعد أن عملوا على اكتشاف المضمون الاجتماعي الثوري للعقيدة، وتوظيفها في مقاومة الاستعمار، واعتمادها كمرجعية في النضال والتحرير"[25].

والحقيقة أن الدكتور حسن حنفي ينطلق من مشروع عام سماه " مشروع التراث والتجديد"، وهو يتكون "من جبهات ثلاث: موقفنا من التراث القديم، موقفنا من التراث الغربي، موقفنا من الواقع (نظرية التفسير)"[26]. ويظهر أنه يعتمد في تأصيل هذه الإيديولوجيا التحررية على إحياء العلوم الدينية والعقلية، لاسيما علم أصول الدين، حيث تلعب العقيدة الإسلامية دورها في بناء الإنسان وتحرره، في الجزء الأول من المشروع، وفي الجزء الثاني يتصدى للتراث الغربي الذي يحب أن يعامله كموضوع للتفكير أو العلم

لا كمصدر للتفكير، وفي الأخير، يريد أن يؤسس لنظرة في التأويل للواقع وهي آخر جزء من هذا المشروع الضخم.

إذن، تبدو الإيديولوجيا عند حسن حنفي، مشروعا دينيا ومعرفيا وفكريا، يعطي للفرد العربي المسلم وجهة نظره اللازمة في الحياة، ويحرره من براثن ما علق بهويته وحضارته من تشويه وتزييف. لكن هذا الاختيار للايديولوجيا الدينية الإسلامية في تحرير الإنسان العربي لم يمنعه من الاعتراف بتعدد الايديولوجيات العربية، فهي أربع تأويلات إيديولوجية عربية كبرى: الحركة الإسلامية، القومية العربية، الليبرالية، القومية العربية أو الاشتراكية العربية"[27].

أما الأستاذ محمود أمين العالم، في كتابه "الوعي والوعي الزائف" فإنه يرى أن هناك قطبان كبيران متناقضان للايديولوجيا العربية: أولها "أيديولوجيا قومية ذات مضمون اجتماعي متقدم. إنها إيديولوجية معادية للإقطاع والعشائرية والقبلية معادية للاستعمار والامبريالية والصهيونية والعنصرية والرأسمالية، إنها باختصار، أيديولوجية تحرر وطني وتقدم اجتماعي ووحدة قومية ديموقراطية"[28]، ونظرا لاختلاف القوى الاجتماعية وظروف كل بلد عربي على حدة، فإن هذا القطب العام من الايديولوجيا يتضمن تأويلات دينية وقومية وماركسية وغيرها.

وثانيهما "إتجاه آخر عام ومتنوع كذلك، يعكس ويعبر عن مختلف مصالح القوى الاجتماعية المختلفة في البلاد العربية عامة وفي البلد العربي الواحد، من إقطاعية وعشائرية وقبلية وشرائح اجتماعية رأسمالية مندمجة المصالح مع الامبريالية العالمية"[29]. وهذا القطب الايديولوجي الكبير يتضمن بدوره اتجاهات ونزعات إيديولوجية متنوعة مثل "الاتجاهات السلفية الجامدة والغيبية واللاعقلية، وفي مظاهر التعسف والقمع والشوفينية الانعزالية والإتجاهات الاستهلاكية..."[30]، وبهذا تصبح الايديولوجيا عنده حركة فكرية وعملية ذات أساس اجتماعي، وتنطوي على تناقض أساسي بين إيديولوجيات حركات التقدم الاجتماعي من جهة، وإيديولوجيات الحركات الرجعية التي تشد في نظره المجتمع إلى الخلف، هذا التمييز يلحق الايديولوجيا بصفة الثورة على كل ما هو رجعي، ودراسة الايديولوجية عنده، ليست مجرد ادعاء نظري، ولذا يؤكد الحاجة إلى فحصها عمليا، أي التأكد من مصداقيتها العملية، وهذا يستلزم أن تكون القوى الحاملة لها صادقة في ادعائها.

ويربط الدكتور نديم البيطار الايديولوجيا بصفة الانقلاب، فتاريخ الإيديولوجيا هو تاريخ انقلاباتها، وبدون هذه الصفة، صفة الانقلاب، تغدو الإيديولوجيا بلا معنى، ولا تخدم الوجود الاجتماعي، والايديولوجيا الانقلابية "هي، بكلمة مختصرة، المفهوم العام الذي يحدد علاقة الإنسان بالمجتمع والتاريخ والحياة، ويعين القوى والاتجاهات والسنن التي تسود هذه العلاقة"[31]. ويعتقد أن هذه الظاهرة الانقلابية للايديولوجيا تتكرر في التاريخ، الأمر الذي جعله يبحث عن القوانين التي تحكمها من خلال المقارنة التاريخية على طريقة المؤرخ. وكون هذه الايديولوجيات كثيرة في التاريخ، فانه اقتصر في دراستها على الايديولوجيات الغربية "وأخصها الليبرالية في أشكالها وثوراتها المختلفة، والماركسية في مختلف ثوراتها الشيوعية، والنازية، والى درجة ما الفاشية الايطالية والبروتستانتية "[32]. لأن هذه الايديولوجيات في نظره أكثر تكاملا في بنيتها الانقلابية، وأكثر انفتاحا وقربا من الواقع العربي، والهدف الذي يصبو اليه هو البحث عن صورة ثابتة للايديولوجيا الثورية يمكن استخلاصها من مختلف تلك الايديولوجيات تستطيع أن تكون إطارا محفزا لبناء ايديولوجية عربية تثور على الوجود العربي المتأزم كليا "فإن أردنا الاقتناع بأن هذا الشكل العام هو الشكل الذي يفرض ذاته على الحركة العربية الثورية وجب علينا أن ندل أن المرحلة

الانتقالية التي نمر بها هي من نوع تلك المراحل التي قامت وراء تلك الايديولوجيات الانقلابية وفرضتها، وأنها تشترك معها في طبيعة واحدة"[33].

بقايا الايديولوجيا العربية في الواقع:

يتبين مما سبق أن الفكر العربي يعرض للايديولوجيا العربية في تأويلات مختلفة، لكنها في الغالب انتقائية تذهب من اختزالها في ثلاثة ايديولوجيات كما فعل العروي، إلى وصفها كمعتقد ديني ثوري يجب أن يستوعب كل الاتجاهات داخله كما هي عند حنفي، إلى اعتبارها كإستقطاب ايديولوجي بين الايديولوجيا الثورية والايديولوجيا الرجعية كما هو عند أمين العالم، وأخيرا هي بمثابة انقلاب على الواقع عند البيطار...

مع أن الايديولوجيا الى جانب طابعها النقدي والثوري، فهي تحمل طابع البناء والمحافظة على هوية الجماعة ومصالحها في الواقع، كما تحمل طابع الحجاج على مستوى الخطاب.

غير أن تقسيم الوطن العربي إلى دويلات بحكم اتفاقية سايكس بيكو، وتدخل الاستعمار المباشر وغير المباشر في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية للدول العربية الناشئة، قد جعل الايديولوجيا العربية تحت الهيمنة الغربية المتزايدة، وهكذا اتخذت الايديولوجيا في الجمهوريات العربية منذ الستينات طابعا اشتراكيا تحرريا ووطنيا، بينما اتخذت في الدول العربية الملكية طابعا ليبراليا أو إسلاميا يقر بالليبرالية، وكثيرا ما كانت الدول العربية مسرحا للصراع الايديولوجي والسياسي الاشتراكي والليبرالي الذي انتهى إلى غلبة الايديولوجيا الليبرالية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في تسعينيات القرن الماضي. وبما أن البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لهذه الليبرالية العربية ضعيفة في أسسها المادية والفكرية، فلا مقدمات فكرية وفلسفية و لا تقدم علمي وتقني، هذا فضلا على أن الأنظمة السياسية الحاملة لهذه الإيديولوجيا هي في الواقع أنظمة فعلية شمولية، الأمر الذي جعل تلك الايديولوجيا مجرد واجهة للسلطة، ودعوة ثقافية وفكرية للعلمانية والديموقراطية وحقوق الإنسان لدى نخبة من المثقفين، أما ايديولوجيا الاشتراكية التي ارتبطت بتحرر كثير من البلدان العربية من الاستعمار، فبعد أن رمتها الأنظمة السياسية الحاكمة، فإنها بقيت عالقة ببعض الأحزاب اليسارية التي ساهمت في تكريس العلمانية والقيم المادية.

من جهة أخرى، ظهرت الايديولوجيا الإسلامية كتعبير عن هوية الفرد العربي و المسلم، كأداة للتحرر من الاستعمار والهيمنة الغربية. لقد بدأت هذه الايديولوجيا كدعوة فكرية وعقلانية مع الأفغاني ومحمد عبده وجماعة الإخوان المسلمين التي حولتها إلى كيان ثقافي واجتماعي وسياسي، ثم ما لبثت هذه الإيديولوجيا أن تنوعت في السلفيات الإسلامية المعاصرة واستقطبت الكثير من الجماهير، واتخذت بعض اتجاهاتها منحى متطرفا ضد الأنظمة الحاكمة داخليا ومصالح الدول الغربية خارجيا، في حين شارك بعضها الآخر في الحياة السياسية والجمعوية والثقافية لبعض المجتمعات العربية.

إن انحصار الايديولوجيات الإسلامية تحت الضغوط الداخلية و الخارجية الغربية، وإفلاس الايديولوجيا الاشتراكية والقومية العربية، وخلو الايديولوجيا الليبرالية من مضمونها المادي والعلمي يطرح إشكالية علاقة الإيديولوجيا بحامليها في الوطن العربي، سواء كان هذا الحامل الحكم السياسي أو الحزب السياسي أو العقل الجماعي، أي يطرح مدى مصداقيتها أساسا لدى حامليها. إن ما يحدث أن هذه الايديولوجيات الكبرى تتعرض للانحلال والتراجع، لكن مثل كل شيء يتعرض للتحطيم، فإنها قد خلفت آثارا وفجرت إيديولوجيات جديدة: فأما آثارها فهي الإيديولوجيات السلفية والعلمانية، وأما ما فجرته من ايديولوجيات نتيجة لانحلالها فهي الايديولوجيات الطائفية والإثنية، حيث انفجرت أيضا هنا وهناك في

الوطن العربي مركزة أطروحاتها حول مسألة الهوية." لقد كان إريك إريكسون Erikson Erik يقول: (المؤسسة الاجتماعية التي هي حارسة للهوية، هي ما أسميناه إيديولوجيا) وهذا يعني أن الايديولوجيا هي خطاب حجاجي وظيفته إقناع الأفراد بما يشكل هويتهم والدفاع عنها."[34] لكن ايديولوجيات الهوية "تظهر لنا في ثنائيات على غرار الهوية الأصيلة والهوية الوافدة، الهوية المنغلقة والهوية المفتوحة، الهوية الدينية والهوية العلمانية، الهوية الوطنية والهوية العالمية (العولمة)... وهي بنية تدل في الحقيقة، عن صراع إيديولوجي بين التأويلات المختلفة، من الصعب التحكيم بينها، باعتبارها تعبر عن انتماءات ومصالح فئوية وعلاقات هيمنة وسيطرة محلية وعالمية"[35] وتزداد خطورة هذه الايديولوجيات لما تضيق بها الهوية إلى مستوى طائفة أو أقلية ترفض الهوية العامة المؤسسة لمجتمع تاريخي معين، لطالما كانت جزءا منه، فقد تحولت في دول الواقع العربي إلى خطر محدق بتماسك الدولة ووحدة الشعب*.

شرخ الايديولوجيا العربية وإمكانية إعادة بنائها وظيفيا:

شرخ الايديولوجيا العربية:

علامات كثيرة تدل على ضعف الايديولوجيا العربية وتناقض حامليها وتوظيفهم لها توظيفا سلبيا لم يزد المجتمعات العربية إلا صراعا بين قواها الحية وتفتتا وتشكيكا في السلطة السياسية وعدم الثقة بها، ومن بين تلك العلامات:

أ- **تغييب الواقع:** إن المتأمل في الايديولوجيا العربية كما يعرضها الفكر العربي يستخلص تنازع تأويلاتها الأصيلة والدخيلة، فهي تستمد أسسها إما من الماضي الإسلامي وإما من الغرب الحديث، وفي كلتا الحالتين فإنها تغيب الواقع. من هنا يأتي وصف الأستاذ العروي لتلك الايديولوجيا بالطابع غير التاريخي الذي يدل على تعارضها مع البنى الاجتماعية للواقع العربي المتخلف.

إن هذا الفشل الايديولوجي يجد تعبيره في فعل الدولة الوطنية التي ترزح تحت المتناقضات، فلا هي إسلامية ولا هي ليبرالية ولا هي استطاعت أن تؤسس لإيديولوجية الصناعة والعلم التطبيقي عمليا، مما يعني أنها نظريا فقط تستند لإيديولوجيات تخص تطور الغرب، وتتجاوز واقعها المتخلف في الايديولوجيا. هذا الفشل يجعل الأستاذ العروي يبحث عن تطبيق نظرية مستعارة لم تتجسد بعد كليا في المجتمع الذي استعارها لكنها تتغلغل فيه كل يوم أكثر فأكثر. إن هذه النظرية المستعارة هي " الماركسية الموضوعية "، وحسبه هذه "الماركسية الموضوعية ليست موضوعة proposition تناقش، بل هي وضعية situation تشاهد وتوصف"[36]. وإن أول ما يمكن أن تعلمنا هي الأخذ بمبدأ التاريخانية، فالإنسان تاريخي وإيديولوجيته تاريخية، وهذا المبدأ هو الذي يكشف لنا عدم تطابق الايديولوجيا العربية مع بنيتها الاجتماعية، لأن ما يتخذه العرب من ايديولوجيات لا ينتمي إلى تاريخهم الحالي.

ب- تغييب الذات: يشير تحليل العروي إلى حقيقة استلاب الغرب للذات العربية، وإن الأهم في عرضه للتأويلات الكبرى للإيديولوجيا: ايديولوجيات الشيخ والسياسي والتقني هو توضيحه لمدى حضور الغرب فيها، وهذا يعني أن المجتمعات العربية لازالت تنظر إلى ذاتها وإلى وضعها ومستقبلها من خلال الايديولوجيا الغربية، وأنها جدلا، لم تؤسس لإيديولوجياتها الخاصة التي تعبر عن هويتها الجماعية، مادام حتى الشيخ الذي ينتصر لأصالته ودينه يفعل ذلك نكاية في الغرب المسيحي. يقول العروي" ما لا يمكن إغفاله بحال، هو الترابط بين الأدلوجتين، العربية والغرب، أي ما يقوله العرب عن أنفسهم، وما يقوله الغرب عن نفسه وعن العرب"[37].

ج- تغييب الأمل: إن وضع الايديولوجيا العربية المتمثل في العلمانية الزائفة والمستفزة لثقافة الأمة ودينها وهويتها، و في السلفيات المتخلفة من أكثرها تغطية ودفاعا عن أنظمة الحكم العربية إلى أكثرها تطرفا وعنفا مثل القاعدة وداعش، وفي الايديولوجيات الوطنية التي تشكل الأيديولوجية الرسمية لبعض الأنظمة الحاكمة العربية مثل ايديولوجية البعث في سوريا والعراق، ايديولوجية جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وفي الايديولوجيات العرقية والطائفية...

كل هذه الايديولوجيات هي تعبير عن وضع عربي ممزق ومنهار، وهي تتميز بوضع عدم المصداقية، حيث من السهل أن يتراءى لكل ملاحظ بعد الشقة بين ما تدعيه الأنظمة الحاكمة من ايديولوجيا وبين ما تمارسه من أفعال في الواقع، فالايديولوجيا فقط غطاء، أو واجهة لتلك الأنظمة يدعي من خلالها البعض الديموقراطية وقيم العدالة وخدمة حقوق الإنسان، ويدعي البعض الآخر حرصه على قيم ومبادئ الإسلام السمح، في حين يدعي البعض الآخر أنه يحرص على وحدة الأمة العربية ويؤسس لانبعاثها من جديد، ولهذا فجدل الادعاء والاعتقاد المنحدر عن ماكس فيبر بما يتعلق بعلاقة السلطة في الدول العربية بالايديولوجيا يصبح مختلا وسلبيا، حيث ما تدعيه السلطة من ايديولوجيا لا يجد استجابة كافية لدى الجماهير، وبالتالي تفقد تلك الايديولوجيات مشروعيتها وقدرتها على تبرير تلك المشروعية، حيث عدم المصداقية وفقدان ثقة المحكومين في الحاكم وإيديولوجيته التي لا يصدقها حتى الحاكم نفسه. وهل كان الحكم السعودي مثلا يصدق الوهابية ؟ كيف نستطيع أن نفسر انقلابه السريع عليها بين عشية وضحاها ؟ وهل يمكن أن نصف دولا مثل الجزائر ومصر وتونس أنها دولا علمانية وديموقراطية ؟ ما يحدث هو أننا أمام أنظمة منغلقة ونفعية تتلاعب بإيديولوجيات مختلفة تفتقد إلى المصداقية في ممارساتها الواقعية، بالتالي تجد صدودا من الأتباع أو الجماهير الذين أصبحوا يشعرون أكثر فأكثر بالضجر وفقدان الأمل.

إعادة بناء الايديولوجيا العربية وظيفيا:

ربط الايديولوجيا بالأحداث المؤسسة للأمة:

بدل أن يقترح العروي إيديولوجيا تنطلق من مفهوم الإنسان العربي وثقافة العربي، فإنه يقترح الماركسية الموضوعية بشكل خاص ثم الحداثة الغربية، بعد أن لاحظ انهيار المنظومة الماركسية. إن تأكيده لارتباط الايديولوجيا العربية بالغرب يجعلها مجرد رد فعل أو استنساخ للإيديولوجيا الغربية، ويهمل طابعها التأسيسي والجوهري الذي يستهدف إدماج الأفراد في هوية الأمة المتميزة، والأحداث المؤسسة لتلك الهوية. **إن** ايديولوجيا الشيخ ليست مجرد رد فعل على الغرب، بل هي دعوة لأفراد الأمة للتعرف عن هويتهم في التاريخ، وأنه باستطاعة هذه الأمة أن تتأسس من جديد، من خلال الوعي مجددا بأحداثها المؤسسة وبثقافتها الرمزية وبمصالحها الراهنة المشتركة. إن إيديولوجيا الشيخ هي استمرار لإيديولوجيا الخلافة الإسلامية التي حطمها الغرب الاستعماري من خلال الحروب الصليبية، ومن خلال اتفاقية سايكس بيكو والاستعمار المباشر والتشويه الإيديولوجي والسياسي للدين الإسلامي.

يختلف الأمر بالنسبة لإيديولوجيا القومية العربية التي كانت إحدى أدوات الاستعمار الغربي في تفكيك الخلافة الإسلامية والدولة الإسلامية، ولكن حتى إيديولوجية القومية العربية لا يمكن اختزالها في ايديولوجية التقني الذي يريد البناء الصناعي كما يقر الأستاذ العروي، ولا يمكن اعتبارها حركة عرقية مناهضة للأعراق الأخرى، بل كانت الايديولوجيا القومية حركة ثقافية وسياسية ترتكز أساسا على وحدة كل شعوب الوطن العربي، ومراجع وأدبيات ونصوص القومية العربية وتاريخها يلاحظ ذلك في رفض

القوميين العرب لتقسيم الوطن العربي إلى دويلات في البداية، وفي كتب ساطع الحصري وزكي الأرسوزي ما يدل على ذلك بوضوح. وسواء كانت الايديولوجيا إسلامية أو قومية عامة أو وطنية خاصة بأحد الأقطار العربية فهي وحدها الكفيلة بإعادة التعبير عن الأحداث المؤسسة للأمة والوطن، وعوض أن نرى انحلالها يجب أن نرى انبعاثها من جديد في صور وأفكار أكثر واقعية وأكثر انسجاما مع الطبيعة الثقافية للشعوب العربية وتطلعاتها الإنسانية.

إعادة تكييف الايديولوجيات الغربية مع تاريخ الأمة وثقافتها العربية الاسلامية:

إن الجدل الثقافي والمعرفي بين الكوني والمحلي أصبح مختلا، بسبب غياب أو تشويه الايديولوجيات الوطنية والقومية والدينية التأسيسية للأمة أو التلاعب بها عشوائيا من قبل قوى همها فقط مصالحها الضيقة، وأصبحت كفة ذلك الجدل تميل الى غلبة الايديولوجيات الغربية، لاسيما الليبرالية والعلمانية المرتبطة بها، وأصبحت أقلية من النخب السياسية والثقافية والعسكرية تفرض على الأمة تلك الايديولوجيات الغربية باعتبارها مظهرا للتطور والتقدم الوطني والاجتماعي. وفي المقابل فإنها تنظر إلى ما يؤسس الأمة من دين وتاريخ وثقافة على أنها مظاهر للتخلف والبداوة، وهي أقليات تجهل أن الأفكار والايديولوجيات والمعارف مرتبطة بسياقها الثقافي والاجتماعي، ولقد ساعدت النزعة الاستعمارية المعاصرة للغرب وطابع العولمة الذي ينشدها على إعطاء تلك الأقليات المستلبة نفوذا أكبر، حتى أصبحنا نرى أقليات تدعو إلى الانفصال في العراق والجزائر وسوريا، وأصبحنا نناقش أفكارا كنا نعدها من البديهيات مثل علاقة الدولة بالدين، وعلاقة الدين بالحياة العملية، وحرية المرأة، وقضايا الميراث، وأخلاقيات الفعل...

ولكي لا أعطي وزنا أكثر للمحلي في جدل الكوني والمحلي إلى حد الانغلاق والتطرف،كما هو حال بعض الايديولوجيات الدينية والعرقية عندنا، فإن ذلك الجدل يحتاج إلى التوازن، بمعنى أنه بقدر ما نعتمد على ميراثنا الثقافي والايديولوجي، فيجب تطعيمه بما ينفعه من تجارب غيرنا، وبقدر ما يمكننا الاستفادة من تجارب الغير أو الغرب الايديولوجية، فإنه يجب تأسيسها على واقعنا الثقافي المحلي، وبالتالي ننزع منها طابعها الوثني المادي الذي أصبح الغرب يعرف به نفسه، وهكذا فإن الجابري كأنه أدرك هذا الأمر، فدعانا إلى استبدال العلمانية بالحرية والديموقراطية[38].

ربط الايديولوجيا باليوتوبيا العربية الاسلامية:

إن أول من ربط الايديولوجيا باليوتوبيا هو كارل مانهايم، وقد أثنى ريكور على موقفه في كتابه الايديولوجيا واليوتوبيا، حيث المقابلة بين الايديولوجيا واليوتوبيا يرينا أن الأولى تمتاز بطابع المحافظة، أي تحافظ على مصالح فئة معينة أو مجتمع معين، ووجهة نظره في الحياة، وبالتالي، فهي رغم أنها خيالية إلا أنها تصدر عن الواقع الاجتماعي وتبرر مشروعية القوى التي تحملها، بينما اليوتوبيا الأكثر خيالا تتجه بنا إلى المستقبل وتعطينا الأمل في الحياة وتحملنا على تغيير الواقع مثل النبوءات والأساطير والقصص وغيرها، وانه من المفارقة أن تجد أكثر المفكرين قبولا عندنا هو الذي يشكك في مثل هذه النبوءات ويرفضها بدعوى الواقع أو الموضوعية العلمية، بينما " الايديولوجية الصهيونية " تقوم على النبوءات والأساطير المؤسسة لبني صهيون، وتبدو كمشروع لمستقبل اليهود الذين يحرصون على تحقيقه، الأمر الذي يدعونا إلى عدم الاستهتار بنبوءاتنا وأساطيرنا والحاجة إلى توظيفها لكي نعطي لوجودنا معنى ولواقعنا دلالة المستقبل، فهي بمثابة الرموز والنصوص التي تعبر عن ارادة المجتمع العربي والإسلامي في الوجود، وكيفية العيش أو الحياة، والأمل الذي يحركه نحو المستقبل.

خاتمة:

يتضح من عرضنا لمفاصل المقال أنه محاولة لتطبيق نظرية التأويل الثقافية في علاقتها بالايديولوجيا لدى كل من بول ريكور وكليفورد غيرتز على الايديولوجيا العربية كما يقدمها الفكر العربي، وكما تتجلى في واقعنا العربي الذي آل إلى إيديولوجيات جزيئية عرقية وطائفية ودينية ضيقة، وايديولوجيات سياسية تغيب الذات والواقع والأمل، وتدل على استلاب ايديولوجي ما فتئ يبعد الأمة عن أحداثها المؤسسة وهويتها الأصيلة وواقعها الحقيقي، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في مفهومنا للايديولوجيا وإشكالية توظيفها في واقعنا الراهن الأكثر تعقيدا حيث :

الايديولوجيا ليست مجرد قناع لتغطية مصالح الأجهزة والأحزاب والفئات، ليست مجرد تشويه للواقع، بل هي الفكر المتأصل في رمزية الفعل الاجتماعي لأي مجتمع تاريخي، وتعبر عن أحداثه المؤسسة التي تشكل هويته وتعطي معنى لوجوده، فهي إذن عملية بناء أيضا، وبهذه الصفة لا يمكن تجاوزها.

أن الإيديولوجيا الفاعلة في السياسة هي الإيديولوجيا التي تبرر مشروعية السلطة القائمة تبريرا يقنع الجماهير ويحملهم على التأييد، من خلال خطاب حجاجي تداولي، تصدقه السلطة أولا عمليا، وإلا فإن جدل مشروعية السلطة واعتقاد الجماهير يختل، بسبب عدم تصديق السلطة لايديولوجيتها عمليا، أو بسبب عزوف الجماهير عن الإيديولوجيا غير المقنعة.

أن الواقع الايديولوجي العربي أصبح واقع اغترابي وطائفي متشظي، حيث انحلت إيديولوجياته الكبرى الدينية والقومية والوطنية شيئا فشيئا، تحت تأثير قوى العولمة وأساليب الاستعمار الجديد، وأصبح مرتعا لإيديولوجيات عرقية وطائفية هنا وهناك، ولإيديولوجيات العلمانية المختلفة والسلفيات الدينية المتطرفة، وهي ايديولوجيات تشترك في إلغاء حاضر الواقع العربي، وتدل على الاستلاب إما للماضي وإما للغرب، وتخضع للتوظيف العشوائي والمتناقض أحيانا، والمتشدد أحيانا أخرى.

يحتاج الواقع الايديولوجي العربي إلى تغيير، يجعل من السياق الثقافي العربي أساسا لبناء ايديولوجيات جديدة أكثر تعبيرا عن الواقع العربي وقواه الحية، وأكثر نعتا لهوية الإنسان العربي في مجتمعه الإسلامي والعربي الكبيرين، وفي مجتمعه الوطني الصغير، ويصبح الغرب في هذه الحالة مجرد معطى تجريبي يمكن الاستفادة من عناصر تجربته الايجابية، ذلك أنه بخلاف الدكتور البيطار الذي يبحث عن صورة موحدة للايديولوجيا الثورية، وبخلاف العروي الذي لازال محكوما بحتمية التاريخ الذي يحكم حتى مستقبلنا مثلما يحكم الغرب، فان الايديولوجيا مادامت وليدة الفعل الاجتماعي الخاص بمجتمع تاريخي معين، فلا شك أنها ستكون فريدة ومختلفة، ولا يمكن أن تتكرر في التاريخ بنفس الظروف والنتائج، مما يعني أن العرب في حاجة إلى صنع ايديولوجياتهم الخاصة.

أن الايديولوجيا المتميزة بصفات النقد والمحافظة والتوظيف الواقعي السياسي والاجتماعي، تحتاج في الوطن العربي إلى الارتباط باليوتوبيا، أي بأساطير المجتمع ونبوءاته وقصصه التي تعلي من شأنه، وتعطيه الأمل في الوجود و المستقبل.

بالنتيجة، المجتمع العربي الإسلامي مطالب بإعادة بناء ايديولوجياته الخاصة الإسلامية والقطرية التحررية، فهي الايديولوجيات التي تؤسس لهوية مجتمعنا وتربطه بأحداثه المؤسسة، وإن وظيفة هذه الايديولوجيات هي المحافظة على وحدة المجتمع وتلاحم أفراده، وكل تشويه أو تجاوز لهذه الايديولوجيات من قبل قوى العولمة أو القوى المستلبة الداخلية، فسيؤدي إلى تفكك مجتمعاتنا، وظهور الإيديولوجيات

الطائفية والعرقية. وفي المرتبة الثانية تأتي الحاجة إلى بناء إيديولوجيات سياسية هي إيديولوجيات الدول التي يجب أن تؤسس لمشروعيتها السياسية وتنقلها من كونها دولا فعلية تفرض نفسها على الجماهير بالقوة إلى دول قانونية تكتسب مشروعية وجودها من القانون.

قائمة المصادر والمراجع:

عبد الله العروي: الايديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب. 1995

عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا. ط: 08. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء المغرب، ط 08. 2012.

حسن حنفي: التراث والتجديد. موقفنا من التراث الغربي. مقدمة في علم الاستغراب. الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة. ط1. 1991

حسن حنفي، محمد الجابري: حوار المشرق والمغرب، نحو بناء الفكر القومي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت. ط1 1990.

محمود أمين العالم: الوعي والوعي الزائف. دار الثقافة الجديدة. القاهرة، ط1، 1986.

الدكتور نديم البيطار: الايديولوجيا الثورية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان. ط2، 1982

كارل مانهايم: الإديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة وتقديم: محمد رجا عبد الرحمان الديريني. شركة المكتبات الكويتية، الكويت،ط1، 1980.

J. Dubois, H.Metterrand A.Douzat : Dictionnaire étymologique et historique de français., éditions Larousse, Paris , 2009.

Paul Ricœur : L'idéologie et L'utopie, tr : Meriam d'Allonnes Revaulte et Joël Roman, Editions du Seuil, Paris, 1997.

Paul Ricœur : Anthropologie philosophique, écrits et conférences 3, éditions du Seuil, Paris, 2013.

مجلات ومواقع الكترونية:

د.عبد الجبار الرفاعي: اختزال الدين في الايديولوجيا...لاهوت التحرير عند علي شريعتي وحسن حنفي.
http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=70672:2013-01-16-15-. صحيفة المثقف. صحيفة الكترونية. العدد: 4519. السبت: 2019/01/19.

لزهر عقيبي: جدل تأويل إيديولوجيا الهوية. مداخلة في الملتقى الوطني: اشكالية الهوية بين التأويل الايديولوجي والفهم العقلاني. جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي. الجزائر. 15 نوفمبر 2018. ص: 03
https://www.univ-eloued.dz/images/2019/Cen/%E2%80%AB%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9%20%D

مركز دراسات الوحدة العربية.2019. نقد الايديولوجيا، حوار فكري مع عبد الله العروي 30 نوفمبر 2019.
https://caus.org.lb/ar/

الهوامش:

[1] عبد الله العروي: الايديولوجيا العربية المعاصرة. ط1المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء . المغرب. 1995 .ص: 29.

[2] عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا. ط: 08. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء المغرب. 2012. ص: 05

[3] المرجع نفسه.ص:09.

[4] المرجع نفسه، ص: 10.

[5] المرجع نفسه، ص: 10.

[6] المرجع نفسه، ص: 12.

* كلمة أدلوجة هي تعريب الأستاذ العروي لكلمة إيديولوجيا.

[7] J.Dubois, H.Metterrand A.Douzat : Dictionnaire étymologique et historique de français, éditions Larousse, mot : Idéologie.

[8] كارل مانهايم: الإديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة وتقديم: محمد رجا عبدالرحمان الديريني. ط1. شركة المكتبات الكوتية،الكويت، 1980، ص:129.

[9] المرجع نفسه، ص: 129.

[10] Paul Ricœur : L'idéologie et L'utopie, tr : Meriam d'Allonnes Revaulte et Joël Roman. Editions du Seuil, Paris, 1997, p : 337.

[11] Paul Ricœur : Anthropologie philosophique, écrits et conférences 3, éditions du Seuil, Paris, 2013, p : 279

[12] Paul Ricœur : L'idéologie et L'utopie, op, cit, p : 341.

[13] Ibid. p : 20

[14] Ibid., p : 21

[15] Ibid. p : 34

[16] Ibid., pp : 149. 150

[17] Ibid. p : 244

[18] عبد الله العروي: الايديولوجيا العربية المعاصرة. مرجع سابق. ص: 39.

[19] المرجع نفسه. ص: 39.

[20] المرجع نفسه. ص: 44.

[21] المرجع نفسه. ص: 47.

[22] المرجع نفسه. ص: 42.

[23] المصدر نفسه. ص،ص: 45،46.

[24] المصدر نفسه. ص: 48.

[25] د.عبد الجبار الرفاعي: اختزال الدين في الايديولوجيا...لاهوت التحرير عند علي شريعتي وحسن حنفي، صحيفة المثقف، صحيفة الكترونية. العدد: 4519. السبت: 2019/01/19.
http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=70672:2013-01-16-15

[26] حسن حنفي: التراث والتجديد. موقفنا من التراث الغربي. مقدمة في علم الاستغراب.ط1. الدار الفنية للنشر والتوزيع. القاهرة. 1991 ص: 09.

[27] حسن حنفي،محمد الجابري: حوار المشرق والمغرب، نحو بناء الفكر القومي العربي. ط1.المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت. 1990، ص: 08.

[28] محمود أمين العالم: الوعي والوعي الزائف.ط2. دار الثقافة الجديدة. القاهرة، 1986 . ص: 115.

[29] المرجع نفسه. ص: 116.

[30] المرجع نفسه. ص: 116.

[31] الدكتور نديم البيطار: الايديولوجيا الثورية.ط2. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان. 1982 ص، ص : 33، 34.

[32] المرجع نفسه. ص: 09

[33] المرجع نفسه. ص، ص: ، 11، 12.

[34] لزهر عقيبي: جدل تأويل إيديولوجيا الهوية. مداخلة في الملتقى الوطني: اشكالية الهوية بين التأويل الايديولوجي والفهم العقلاني. جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي. الجزائر. 15 نوفمبر 2018. ص: 03.. -https://www.univ-eloued.dz/images/2019/Cen/%E2%80%AB%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9%20%D

[35] المرجع نفسه. ص: 01

[36] مركز دراسات الوحدة العربية.2019. نقد الايديولوجيا، حوار فكري مع عبد الله العروي /https://caus.org.lb/ar. 30 نوفمبر 2019.

[37] عبد الله العروي: الايديولوجيا العربية. مرجع سابق، ص: 48.

[38] أنظر حسن حنفي ، محمد عابد الجابري: حوار المشرق والمغرب، نحو بناء الفكر القومي العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. 1990. ص: 08.